الى الأستاذ عبد المتعال الصعيدي

السلام عليكم ورحمة الله ، وبعد فقد قرأت مقالكم الشائق في قضية نسب زياد في مجلة « الرسالة » ؛ ولقد كنت أرجو وأنا ألمس في أبحاثكم نفوذ النظر وثاقب الفكر أن لا تفوتكم في هذه القضية نقطة وجيهة وذات خطورة ، وهي احتمال التلفيق وأثر الحزازات السياسية والحزبية

فمعلوم أن ما وصل إلينا من الروايات في هذه الموضوع وغيره قد دُون في عهد الدولة العباسية ؛ ومعلوم أن كثيراً مما دون في هذا العهد ، مما يتصل خاصة بالدولة الأموية وكبار رجالاتها ، قد تأثر إلى حد كبير بتلك الحزازات ، وأن الذي ينعم النظر يلمس تعمد التشويه والتسوي والمبالغة والإعظام قوياً بارزاً وزياد من كبار رجالات هذه الدولة وموطديها ، وقد كان في ولايته للعراق في عهدها صارماً شديداً ؛ ثم خلفه ابنه فيها فسار من جهته على غرار أبيه ، ووقعت من جهة أخرى في عهده حادثة كربلاء الأليمة التي جلبت عليه نقمة الناس ، وانتشرت عنه بسببها أسوأ الأحاديث

فهذا من وجه عام من شأنه أن يدعو الباحثين إلى التحفظ والتوقف والارتياب في رواية نسب زياد واستلحاقه لأن لحمة هذه الرواية وسداها مطعن وغمز وتشويه وتسوي

ومن العجيب أننا نجد الروايات تغمز نسب عمرو بن العاص بما غمزت به نسب زياد بشكل ما ؛ وهو من أعاظم رجال الدولة الأموية وموطديها ، ونجدها كذلك تسخف في وصف ظروف ولادة الحجاج وخَلْقه ورضاعه سخفاً مضحكاً ، وهو صنو الرجلين العظيمين الأولين في هذه الدولة ؛ بل ونجدها لا تدع رجلاً من كبار رجالات وقواد هذه الدولة إلا غمزته في أمانته أو عرضه أو دينه أو خلقه ؛ وإنه لمن الحق أن يحمل هذا بوجه عام الباحثين في قضية من القضايا المتصلة بالدولة الأموية وكبار شخصياتها إلى التحفظ والتوقف والارتياب ، وأن لا تجعله يكتفي بتوجيه وتخريج الروايات والبحث في نطاقها كأنها قضايا مسلّمة

يضاف إلى هذا أنه إذا أنعم النظر في عناصر رواية نسب زياد خاصة ظهر فيها ثغرات عديدة تؤكد قوة احتمال التلفيق وضلع الحزازات السياسية والحزبية كما أشرنا إلى ذلك آنفاً . ففي عناصر الرواية :

١ — أن زياداً كان يعرف بزياد بن عبيد ، وأنه كان له إخوة من أمه ومن أبيه هذا ؛ فهذا قد ينقض نقطة كون سُميّة من البغايا العامة ؛ فإذا كان أبو سفيان قد اتصل بها سفاحاً فيكون قد اتصل بها وهي تحت زوج . فكيف يستقيم هذا مع رواية توكيد أبي سفيان أن زياداً من نطفته ؛ وكيف يمكن لأبي سفيان أن يؤكد ذلك من حيث الأصل . على أنه مما يصلح أن يكون موضع تساؤل وارتياب معاً وثغرة كبيرة في الرواية هذا التفصيل الدقيق المروي عن اتصال أبي سفيان بسمية في الطائف في زمن الجاهلية ، وتداول هذا التفصيل ومعرفة شاهده العياني أبي مريم الخمّار وأدائه الشهادة عنه بعد البعثة النبوية

إن تكن يا قلب قد ذقت الأسى ... فلكم ذاقته من قبل قلوب

لا تلمني إذ أغني في الصباح ... بعدما قد كنت أبكي في المساء
فأنا الشاعر أيامي جراح ... وليالي سهاد وبكاء
فلماذا أترك الصفو المتاح ... بينما أغرق نفسي في الشقاء ؟ !
إنها لحظة صفو أجتليها ... في حياة غُشّيت بالكدر !
إنها زهرة أنس أجتنيها ... بين أشواك الأسى والضجر !

يا ليالي الحب في الماضي البعيد ... هل تعودين ؟ فقد عاد الأمل
وكأني اليوم أحيا من جديد ... للأماني ... للأغاني ... للغزل
ولقد حطّمت هاتيك القيود ... وتهيأت لأغلال المقل
فتعالي ... كل أيامي تهون ... غير أيام الغرام الأول
إنها — والعمر شجو وأنين — ... فرحةُ الزهر ، وشدوُ البلبل

يا حبيبي ها أنا بين يديك ... لهفة كبرى ، وشوقاً ، وهياما
وفؤادي ما هفا إلا إليك ... أوشكا — إلا لعينيك — الغراما
فإذا ما جاء واستاق لديك ... فاحتضنه يا حبيبي ... ثم ناما
وإذا جاء الصباح الباسمُ ... فاحبُه صفو الحنان الطاهر
إنه قلب رقيق حالم ... إنه قلبيَ ... قلب الشاعر :

بنحو خمسة وخمسين عاماً ورواية تلك الصورة البذيئة عن سمية بعد اتصال أبي سفيان بها ...

٢ — أن أبا سفيان قد اتصل بسمية فى الجاهلية وأن زياداً قد ولد أيضاً فيها . ولقد كان استلحاق أولاد السفاح فى هذا العهد سائغاً جارياً لا غضاضة فيه ولا مطعن : وقد زعمت رواية نسب عمرو بن العاص أنه ولد سفاح وأن أباه قد استلحقه ؛ والعاص بن وائل السهمى والد عمرو من كبار شخصيات وبيوتات قريش ؛ فالقول بأن أبا سفيان قد أنف من استلحاق زياد لا يستقيم مع السائغ الجارى

٣ — لم تصرح الرواية أن أبا سفيان قال للامام على إن زياداً ابنه حينما أعجب الإمام بموقفه الخطابى فى خلافة عمر ؛ وكل ما ذكرته قوله إنه يعرف أباه ؛ فكيف عرف أنه عنى نفسه حتى أنذره بضرب الخليفة ؟ ثم إذا كان الإمام قد عرف ذلك — لأن هناك رواية فيها إيماء أوضح — وكان فى اجتهاده أن تصريح أبى سفيان موجب لحده ؛ فهل كان يسكت عنه وهو المشهور بالشدة فى مثل هذه الأمور . هذا مع أن فى رواية تهديد الإمام ثغرة أخرى ، لأن اتصال أبى سفيان بسمية وولادة زياد مما كان فى الجاهلية والإمام أجل من أن يجهل أنه لا حد ولا بأس على أبى سفيان ، لأن إسلامه قد جب ما قبله . ثم أليس هنا موضع تساؤل وعجب عن ذيوع حديث جرى بين الإمام وأبى سفيان خاطفاً عابراً وغدوه من الروايات المتداولة على ألسنة الرواة ؟

٤ — إذا فرضنا أن أبا سفيان قد أنف من استلحاق زياد عند ولادته مع تأكده أنه ابنه وأنه أعجب به فيما بعد فإنه لم يكن هناك مانع من جهة ولا مطعن من جهة أخرى فى استلحاقه لأن الحادث مما يتصل أصلاً فى الجاهلية ، وقد أقر الإسلام أنساب الجاهلية على علاتها

٥ — لقد كان زياد والياً من ولاة الإمام ، فهل يعقل عاقل متصف بعرف طبيعة ورع الإمام وتحفظه وتشدده ، ويعرف ما كان ناشباً بينه وبين معاوية بن أبى سفيان أن يستخدم شخصاً يعرف أنه ابن سفاح أولاً ويعرف أنه ابن أبى سفيان وأخو معاوية ثانياً

٦ — ويخيل إلى بالإضافة إلى هذا كله أن زياداً المعروف فى شدته وقوة شخصيته والذى كان نابغة عبقرياً منذ خلافة عمر ، ثم كان والياً من ولاة الإمام على ليأنف أن يعلن على رؤوس الأشهاد وفى مجلس شرعى أنه ابن زنا وأن أمه بغى ، ولو كان ذلك بسبيل التحاقه بنسب أبى سفيان ، وأن معاوية الملك العربى المسلم العظيم ليأنف أن تُسوَّد أسمة أبيه واسمه فى هذه المناسبة مهما كان الباعث السياسى ، كما أنه ليس من ضرورة إلى ذلك ، وزياد هو ما هو من العبقرية والنبوغ وقوة الشخصية ، ومعاوية هو ما هو من الدهاء والعقل والحلم إلى تلك الفضيحة الخالدة على الدهر للاثنين معاً لتكون وسيلة تضامن وتناصر بينهما

هذا ما عن لى أن أعلق به عساكم تتفضلون ببيان رأيكم توفية للموضوع الطريف الذى طرقتموه ولكم الشكر والاحترام

محمد عزة

فى القافية

جاء فى قصيدة الأستاذ محمود الخفيف « جمال وشوك » بالعدد ٥٧٠ من الرسالة يصف شجرة الصبار :

وحشية ما اتخذت من حُلى إلا التى تنسبها للمُصلَى
يارب حُسنٍ إذ يرى عاطلاً أصالة السحر به أبرزت
جماله فهو يرى أجملا

وفى قافية الشطر الثالث خطأ يسمونه « سناد التأسيس » لأن ألف « عاطلاً » تأسيس — والتأسيس ألف فى كلمة الروى بينها وبينه حرف متحرك — ومتى أسست قافية فى قصيدة وجب تأسيس سائر القوافى

ولو أنصف الشاعر لقال

« يارب حسن حينما عُطِّلا »

أو نحو ذلك .

(بنى سويف) محمد محمود رضوان

(طبعت بمطبعة الرسالة بشارع السلطان حسين — عابدين)